الأمم المتحدة

A/61/PV.89

الجمعية العامة

المحاضر الرسمية

الدورة الحادية والستون
الجلسة العامة **٨٩**
الاثنين، ٢٦ آذار/مارس ٢٠٠٧، الساعة ١٠/٠٠
نيويورك

الرئيسة: السيدة هيا راشد آل خليفة ..... (البحرين)

نظرا لغياب الرئيسة، تولى الرئاسة نائب الرئيس، السيد تشيدياوسيكو (زمبابوي).

افتتحت الجلسة الساعة ١٠/٣٠.

البند ١٥٥ من جدول الأعمال (تابع)

الاحتفال بالذكرى السنوية المائتين لإلغاء تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي

الرئيس بالنيابة (تكلم بالانكليزية): تعقد الجمعية العامة هذا الصباح جلسة خاصة مكرسة للاحتفال بالذكرى السنوية المائتين لإلغاء تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي، وفقا لقرارها ١٩/٦١ المؤرخ ٢٨ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.

وقبل أن نبدأ، أود أن أدعو أعضاء الجمعية إلى الوقوف مع التزام الصمت لمدة دقيقة إحياء لذكرى ضحايا تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي.

التزم أعضاء الجمعية العامة الصمت لمدة دقيقة.

الرئيس بالنيابة (تكلم بالانكليزية): يشرفني أن أدلي بالبيان التالي نيابة عن رئيسة الجمعية العامة في دورتها الحادية والستين. وتأسف الرئيسة بالغ الأسف لأنه تعذر عليها أن تحضر شخصيا للاحتفال بحدث هام من هذا القبيل، لأنها تقوم حاليا بزيارة رسمية إلى الشرق الأوسط.

”إن تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي من أكثر صفحات تاريخ البشرية فظاعة. وقد كانت بدايتها في القرن الخامس عشر، عندما استطاعت ممالك أوروبية توسيع نفوذها إلى ما وراء البحار والوصول إلى أفريقيا. ومن الحقائق التاريخية المؤسفة أن الدافع وراء تجارة الرقيق كان التوسع الاستعماري ونشوء الاقتصادات الرأسمالية والطلب اللامحدود على السلع الأساسية، وأن العنصرية والتمييز استُخدما لإضفاء المشروعية عليها.

”وكان من بين مالكي الرقيق المستخدمين في المزارع خلال القرن الثامن عشر، قبل حظر تجارة الرقيق، أشخاص ذوو نفوذ، منهم رجال أعمال،

يتضمن هذا المحضر نص الخطب الملقاة بالعربية والترجمة الشفوية للخطب الملقاة باللغات الأخرى. وينبغي ألا تقدم التصويبات إلا للنص باللغات الأصلية. وينبغي إدخالها على نسخة من المحضر وإرسالها بتوقيع أحد أعضاء الوفد المعني إلى: Chief of the Verbatim Reporting Service, Room C-154A. وستصدر التصويبات بعد انتهاء الدورة في وثيقة تصويب واحدة.

ودبلوماسيون، وزعماء دينيون، ومسؤولون سياسيون كبار، ومحامون، وتجار. وقد جنيت ثروات طائلة وازدهرت مؤسسات مالية بفضل تجارة الرقيق. واستخدمت الأرباح المتأتية من الاستثمار في تجارة الرقيق لتمويل استثمارات أخرى في صناعات مثل التبغ والسكّر، أو في الأعمال الفنية، أو لشراء ممتلكات وعقارات. وازداد نفوذ الأغنياء بفضل استثماراتهم في تجارة الرقيق، وأصبحت العبودية جزءاً طبيعياً لا غضاضة فيه من الاقتصاد السياسي آنذاك.

”وازداد الطلب على اليد العاملة الأفريقية بازدياد المستعمرات، وترك الترحيل القسري لملايين الأشخاص في إطار تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي تأثيراً بالغاً على أفريقيا. فقد جُرّدت القارة من ثرواتها في الوقت الذي ساهمت فيه في النمو الرأسمالي والثراء لأوروبا ومناطق أخرى من العالم. وشارك تجار أفارقة مثل أنتيرا ديوك وزعماء قبليون ذوو نفوذ في استعباد بني جلدتهم أيضاً وبيعهم إلى نخاسين. وقد قاوم بعض الحكام الأفارقة هذه الآفة – ومن أشهرهم ملك الكونغو ألفونسو في القرن السادس عشر، وملكة ندونغو نجينغا مباندي في القرن السابع عشر، وملك داهومي أغاجا ترودو في القرن الثامن عشر.

”ويصادف تاريخ ٢٥ آذار/مارس ٢٠٠٧، ذكرى مرور ٢٠٠ سنة على سنّ قانون برلماني للقضاء على تجارة الرقيق في الإمبراطورية البريطانية آنذاك. وكان هذا الحدث إيذاناً ببداية نهاية الاتجار بالبشر عبر المحيط الأطلسي. غير أن قانون إعتاق العبيد البريطانيين لم يسنّ فعلياً إلا في عام ١٨٣٣. ومن الصعب علينا أن نتصور بأن هذه التجارة، التي تعتبر الآن جريمة ضد الإنسانية، كان يجيزها القانون آنذاك.

”والذكرى المئوية الثانية تتيح لنا جميعاً الفرصة للإعراب عن مدى امتعاضنا من تجارة الرقيق، ولإحياء ذكرى ملايين الأشخاص الذين عانوا منها. كما أنها تسمح لنا بالإشادة بما أبداه جميع أولئك الذين ناضلوا من أجل القضاء على هذه التجارة من شجاعة وثبات على المبدأ. ومن بين أولئك الأشخاص عبيد وعبيد مُعتقون مثل أولوداه إكيوانو، وزعماء دينيون، ورجال دولة مثل ويليام ويلبرفورس، وتوماس كلاركسون، وغرانفيل شارب، والكثير من المواطنين العاديين الذين ناضلوا من أجل تغيير الأوضاع. وفي فرنسا، ناضل فيكتور شولشير دون كلل من أجل الهدف نفسه، مما ساهم في إصدار مرسوم فرنسي للقضاء على تجارة الرقيق في ٢٧ نيسان/أبريل ١٨٤٨.

”وينبغي لنا الإقرار، ونحن نتأمل في الماضي، بما يرتكب حالياً من فظائع يندى لها الجبين، إذ تتخذ العبودية حالياً أشكالا عدة في مختلف أنحاء العالم، مثل السخرة، والتجنيد القسري للأطفال، والاتجار بالبشر، وتجارة الجنس غير القانونية. وتذكّرنا المادة الأولى من إعلان الأمم المتحدة العالمي لحقوق الإنسان بأن جميع الناس يولدون أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق. ولذلك يجب أن يكون احتفال اليوم بمرور مائتي سنة على سن قانون القضاء على تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي دافعاً لنا جميعاً إلى الالتزام بهذا الإعلان ومضاعفة جهودنا من أجل وضع حدّ للاتجار بالبشر وجميع أشكال الرقّ المعاصرة“.

والآن أعطي الكلمة لمعالي نائبة الأمين العام، السيدة آشا – روز ميغيرو.

نائبة الأمين العام (تكلمت بالانكليزية): تراودني مشاعر قوية إذ أشترك مع الجمعية العامة هذا الصباح في الاحتفال بالذكرى السنوية المائتين لإلغاء تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي. واسمحوا لي أن أتقدم بالشكر للجمعية على تنظيمها لهذا الاحتفال، لا سيما لمجموعة الممثلين الدائمين للجماعة الكاريبية لدى الأمم المتحدة.

ولعل قصة القضاء على تجارة الرقيق تستحق أن تُحكى بصورة دائمة هنا في الأمم المتحدة. فميثاقنا يقر حقوق الإنسان الأساسية وكرامة الإنسان وقدره. وينص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أنه لا يجوز استرقاق أحد أو استعباده.

وطوال قرون، تسببت تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي في إذلال الإنسان بشكل بغيض. فقد هلك الملايين من المسيرة الطويلة في أفريقيا، وفي منتصف الطريق عبر الأطلسي، وجراء قسوة الظروف في الضفة الأخرى. واستُغل الملايين بوحشية في الأمريكتين، وساعدوا بعملهم في بناء مجتمعات مزدهرة لم يكن لهم أي حق أو رأي فيها.

غير أنه إذا كان الرق قد جسّد قدرة البشر على القسوة، فإن الكثيرين عارضوه وقاموا بمكافحته. وثار الرقيق ضد الاستعباد. وانتشرت حركات إلغاء الرق. وكان تحرير الرقيق انتصارا للبشرية جمعاء، لأنه دل على أن البشر سواسية بصورة متأصلة من حيث قدرهم أينما كانوا.

واليوم، ونحن نُحيي الذكرى السنوية المائتين لإلغاء تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي، فإننا نحتفل بحقيقة أن بني البشر يولدون أحرارا وسواسية في الكرامة والحقوق. غير أن الملايين من الناس في سائر أنحاء العالم ما زالوا محرومين من أبسط حقوق الإنسان والحريات الأساسية. وينبغي ألا يترك أي مجال في القرن الحادي والعشرين للاتجار ببني البشر والسُخرة والاستغلال الجنسي. وينبغي ألا يفسح أي مجال للاغتصاب الجماعي وجرائم الحرب الأخرى التي ترتكب ضد أكثر الضعفاء في أوقات الصراع المسلح. وينبغي ألا يجبر الأطفال على أن يصبحوا جنودا أو على أن يعملوا في محلات الجنس، وينبغي ألا تقوم أسرهم ببيعهم. وحقيقة أن هذه الفظائع تقع في عالمنا اليوم ينبغي أن تجعلنا جميعا نشعر بالخجل.

ولذا فلنسترجع الفترة المأساوية للتاريخ الإنساني؛ ولنسلط الضوء على الجرائم المرتكبة ضد الإنسانية التي تقع اليوم في الظلال التي تحيط بنا. ولنعمل على منع هذه الجرائم من التكرار في المستقبل. وأناشد الدول الأعضاء اتخاذ إجراء باعتماد وتنفيذ الصكوك الدولية ذات الصلة مثل بروتوكول منع وقمع ومعاقبة جريمة الاتجار بالأشخاص، وبخاصة النساء والأطفال.

كما أناشد الدول الأعضاء الانضمام إلى المبادرة العالمية لمكافحة الاتجار بالبشر، التي أطلقها اليوم في لندن مكتب الأمم المتحدة المعني بالجريمة والمخدرات. وتجمع المبادرة شراكة واسعة تدخل فيها الحكومات وأسرة الأمم المتحدة والمجتمع المدني والقطاع الخاص ووسائط الإعلام في مسعى لتوليد الإرادة السياسية وتعبئة الموارد وحشد الوعي العالمي اللازم لمكافحة ويلات الاتجار بالبشر.

إن اتخاذ إجراء لا يمثل التزامنا القانوني فحسب – بل يمثل واجبنا الأخلاقي. وهو دَين ندين به لجميع الذين نقوم بتكريمهم اليوم. وقبل ٢٠٠ سنة دافعت النساء الشجاعات والرجال الشجعان في جميع أرجاء العالم عن الحرية. واليوم، علينا أن نحذو حذوهم. وعلينا أن نعمل معا لوقف ارتكاب الجرائم التي تحرم عددا لا يحصى من الضحايا من حريتهم وكرامتهم وحقوقهم الإنسانية. وعلينا أن نكافح الإفلات من

العقاب بالالتزامات الثابتة. وعلينا أن نحشد الإرادة السياسية من خلال ممارسة الضغط المحلي والدولي. وعلينا أن نطبق تدقيقا دؤوبا ومستمرا.

السيدات والسادة، أشعر بالامتنان على إسهامكم في هذه القضية العالمية.

الرئيس بالنيابة (تكلم بالانكليزية): تستمع الجمعية الآن لبيان يدلي به دولة السيد ديتريل دوغلاس، رئيس الوزراء ووزير المالية والتنمية المستدامة والإعلام والتكنولوجيا والسياحة والثقافة والرياضة في سانت كيتس ونيفس، الذي سيتكلم بالنيابة عن الجماعة الكاريبية.

السيد دوغلاس (سانت كيتس ونيفس) (تكلم بالانكليزية): إنني بشعور مختلط من التواضع والاعتزاز أقف هنا بالنيابة عن اتحاد سانت كيتس ونيفس والدول الأخرى الأعضاء في الجماعة الكاريبية لأخاطب هذه الهيئة في هذا المنعطف الميمون من تاريخها الممتد ٦١ سنة. ومن المؤكد أن هذا التاريخ يمثل مرحلة ذات أبعاد تاريخية في تطور منطقتنا بالذات، منطقة البحر الكاريبي.

وبالنسبة لنا نحن سكان منطقة البحر الكاريبي وسكان أفريقيا وأمريكا اللاتينية والولايات المتحدة الأمريكية، كان إلغاء تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي قبل ٢٠٠ سنة إيذانا بنهاية الممارسة الهمجية والمروعة للاتجار غير القانوني بالبضاعة البشرية. ومات ملايين الأشخاص خلال التجارة وتم إخضاع الملايين غيرهم لحياة من اليأس والوحشية والاغتصاب والإهانة. وكانت قارات أفريقيا وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية وأوروبا مرتبطة ارتباطا لا فكاك منه بهذه الممارسة المروعة. وأحدثت هذه الممارسة تأثيرا عالميا على البلدان والشعوب في جميع أرجاء العالم بشكل أو بآخر.

ولم تكن منطقة الجماعة الكاريبية وحدها هي المنطقة التي حصلت فيها تلك الممارسة اللاإنسانية وتم إلغاؤها في نهاية المطاف. فكوبا والجمهورية الدومينيكية والبرازيل وفترويلا ومنطقة أمريكا اللاتينية بأسرها والولايات المتحدة الأمريكية وموريشيوس وسيشيل – إننا جميعا مرتبطون بأفريقيا من خلال تجارة الرقيق وإلغائها.

ولم تحقق تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي نموا اقتصاديا إلا لبعض البلدان. وأدخلت هذه التجارة وعمقت، بالاقتران بمؤسسة العبودية، فكرة العنصرية في جميع أنحاء تلك البلدان المتضررة من الرق وتجارة الرقيق. وكانت تجارة الرقيق أكثر من كونها ممارسة اقتصادية. فقد انتهكت القوانين الأخلاقية الأساسية للتفاعل الإنساني.

وبالنسبة للجماعة الكاريبية اليوم، فإن ذكريات تجارة الرقيق تمس صميم مجتمعاتنا ذاته. والعديد منا من سلالة أولئك الأشخاص التعساء الذين بقوا على قيد الحياة من الرحلة على ظهر السفن. وكانت جريمة ارتكبت ضد إنسانية أجدادنا وانتهاكا لحقوقهم الإنسانية. ونؤمن إيمانا قويا بأن معاناتهم ينبغي ألا تنسى أبدا، ونشعر بالتشجيع فعلا للإظهار القوي للغاية للدعم الذي أبداه المجتمع الدولي خلال اتخاذه بالإجماع لقرار الجمعية العامة ١٩/٦١ في تشرين الثاني/نوفمبر الماضي ولإحياء الذكرى اليوم.

وبالتالي، تجدر الإشادة بأن قادة بعض الدول الاستعمارية السابقة أعربوا عن القلق العميق في العديد من المناسبات حيال الدور الذي اضطلعت به بلدانهم في التجارة الخسيسة بالرقيق. ويحدوني أمل قوي في أن يستجيب بطريقة مماثلة قادة الدول الأخرى التي دعمت النشاط اللاإنساني واستفادت منه. ولكن من الأهمية بمكان أن يقدم قادة تلك الدول لسلالات الرقيق الأفارقة الذي جلبوا إلى منطقة البحر الكاريبي والأمريكتين اعتذارا كاملا لا لبس فيه.

لا نزاع في أن تلك الدول تطورت على حساب دماء وعرق ودموع أجدادنا المسترقين، والعمل اللائق والكريم حقا الذي يتعين أن تقوم به هذه الدول هو جبر الخواطر وتوسيع اعتذارها ليشمل مجال التكفير عن الدعم القانوني والاقتصادي وعن الفظائع التي شكلت قاعدة تجارة الرقيق والعبودية. وعلى البلدان التي شاركت في تجارة الرقيق والعبودية التزام أخلاقي بالتعويض عن الضرر الناجم عن تلك الجرائم المرتكبة ضد الإنسانية.

ويجادل بأنه لا يمكن لأي دولة شاركت في تجارة الرقيق والاسترقاق أن تدعي بصورة مبررة أنها تدعم حقوق الإنسان بدون أن تقدم أولا اعتذارا رسميا وتكفيرا في شكل تعويض. ويعتقد أيضا أنه لا يمكن إلا في ظل تلك الظروف لسلالات الرقيق أن يسامحوا حقا وأن يمضوا قدما في العالم. ومن منظور سكان منطقة البحر الكاريبي، سلالة الرقيق، فإن هاتين المسألتين ستبقيان حاسمتين بالنسبة لنا نظرا للمهانة والمعاناة والتركات الملازمة التي نعيشها من جراء تجارة الرقيق والعبودية.

وعقب إلغاء تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي، شهدت منطقة البحر الكاريبي تنوعا من التغييرات. وبإلغاء الاسترقاق، بعد ٢٧ عاما، لم يعد هناك إمداد مستمر للعمالة الأفريقية، وكان ذلك بداية فترة شكل جديد للهجرة إلى المنطقة في شكل العمالة المسخّرة. واستمرت المنطقة في التطور إلى المجتمع المتنوع القائم اليوم، بمواطنين من أصول أفريقية وأوروبية وهندية وآسيوية وعربية.

وبينما تطورت مجتمعات منطقة البحر الكاريبي بعد عقود من الهجرة وتصفية الاستعمار والتنمية، ظلت المنطقة تدرك أن العديد من القوالب النمطية والمفاهيم الخاطئة والتعصب القائم اليوم إنما هي من مخلفات تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي والاسترقاق.

وبينما نحيي الذكرى السنوية المائتين اليوم، علينا أن نظل ثابتين في جهودنا للقضاء الكامل على الويلات التي ما زال عالمنا مبتليا بها. وأنا أتكلم عن ويلات انتهاكات حقوق الإنسان والعنصرية والاتجار بالبشر والتخلف.

ومثلما نحن مرتبطون بواسطة تجارة الرقيق وإلغائها، يتعين علينا الآن أن نعمل معا لحل هذه المشاكل ودحرها. فإننا جميعا بحاجة إلى تذكّر روابطنا والعمل معا لمعالجة الأمراض الباقية من ذلك الإرث، فضلا عن الأمراض العديدة القائمة اليوم.

ولا يجوز أن ننسى التضحيات المقدمة من أولئك الذين كافحوا ببسالة لإلغاء تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي. فالثورة الهايتية الناجحة عام ١٨٠٤، وثورات العبيد التي لا تحصى، بمن فيهم المارون، والتدخل الإنساني من وليم ويلبرفورس وآخرين، والمواقف المتغيرة للسكان برمتهم – كل ذلك أدى إلى التحرك والإلغاء النهائي لتجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي، والقضاء بالتالي على الرق.

والجماعة الكاريبية ملتزمة بإقامة نصب تذكاري دائم وبارز في قاعات الأمم المتحدة، تكريما لأولئك الذين قضوا نحبهم تحت وطأة الرق، إقرارا بالمأساة واعتبارا لآثار الرق.

وقد أنشأنا صندوق الجماعة الكاريبية لتحقيق هذا المشروع، وإننا ممتّنون امتنانا عميقا لحكومة دولة قطر، التي كانت أول من أسهم فيه. كما أننا ممتنون لأصدقائنا الآخرين في الأمم المتحدة، الذين أعربوا عن عزمهم على دعمنا في ذلك الشأن. وأغتنم هذه الفرصة لأدعو الأعضاء الآخرين في أسرة الأمم المتحدة إلى الانضمام إلينا في منطقة البحر الكاريبي. فالجماعة الكاريبية تعتقد أن وجود نصب تذكاري دائم في الأمم المتحدة سيسهم في ضمان

تـذكير أجيـال المـستقبل دائمـا بتـاريخ الـرق وبالـدروس المستخلصة منه.

ختاما، أغتنم هذه الفرصة لأنوّه تنويها خاصا بالدعم القيم الذي تلقيناه من أصدقائنا الكثيرين في جميع أرجاء العالم. وأود أن أشكر، بشكل خاص، الأمم المتحدة، ومركز شومبرغ للبحث في الثقافة السوداء، هنا في نيويورك؛ واليونسكو على الدعم الكامل وعلى إقامة معرض معنون ''حتى لا ننسى''، الذي افتُتح في الأمم المتحدة في أول آذار/مارس. ومع أننا قطعنا شوطا طويلا، فإن شوطا أطول بكثير لا يزال أمامنا للتغلب على الآثار الدائمة لتلك الجريمة ضد الإنسانية.

وأعتقد أن هذا ممكن. وإنني في الحقيقة على يقين بأننا سنتمكّن من تصحيح مسار سفينة الحنان؛ وسنتغلب على عواصف التمييز والإجحاف والتعصب واللامبالاة؛ وسنبحر في النهاية نحو مستقبل مشرق ينهض بحقوق الإنسان والكرامة الإنسانية للبشرية جمعاء ويحميها.

الرئيس بالنيابة (تكلم بالانكليزية): أعطي الكلمة لممثل جنوب أفريقيا، الذي سيتكلم باسم المجموعة الأفريقية.

السيد كومالو (جنوب أفريقيا) (تكلم بالانكليزية): ربما كان الرق يعني بيع الأفريقيين والاستبداد بهم، لكن آثاره عمّت القارة الأفريقية برمتها. وحتى يومنا هذا، لا تزال مياه المحيط الأطلسي داكنة ومعكرة بدماء الأفريقيين المسروقين على امتداد الساحل الغربي، وصولا إلى ساحل ناميبيا العاصف جنوبا، وعلى امتداد الطريق إلى الشواطئ الجافة للصحراء الكبرى. وكلما ثار العبيد أو اشتاقوا إلى وطنهم، أو عصوا محتجزيهم بأي شكل من الأشكال، كان يُلقى بهم في المحيط الأطلسي المتجمد.

وبعد مرور مائتي سنة، لا تزال أفريقيا تضمد جروح الرق. ومما لا خلاف عليه، حقيقة أن تجار الرقيق سلبوا قارتنا أفضل سكانها. لكن الأسوأ من ذلك هو أن الداعمين الأقوياء لتجارة الرقيق عادوا ليفرضوا على من بقوا نوعا لا يضاهى من القهر، مدفوعين بالجشع وحب التوسع، اللذين ظهرا في صورة نظام استعماري ترك أفريقيا معدومة طوال قرون.

وقد ذكرت الجمعية العامة، في قرارها المتعلق بإحياء الذكرى السنوية المائتين للقضاء على تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي، أن تلك التجارة وآثار الرق هي جوهر التفاوت الاجتماعي والاقتصادي الأساسي والكراهية والعنصرية والأذية التي لا تزال تترك آثارها، سواء المباشرة أو النفسية، على المنحدرين من أصول أفريقية في جميع أرجاء العالم.

وفي المؤتمر العالمي التاريخي ضد العنصرية والتمييز العنصري وكره الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب، الذي انعقد عام ٢٠٠١ في دربان، في جنوب أفريقيا، أقرت الدول الأعضاء أن:

> ''العبودية وتجارة الرق جريمة ضد الإنسانية، وكان من الواجب اعتبارها كذلك دائما، وخاصة تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي، وأنها من المصادر والمظاهر الرئيسية للعنصرية والتمييز العنصري وكره الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب، وأن الأفريقيين والمنحدرين من أصل أفريقي، والآسيويين والمنحدرين من أصل آسيوي، والشعوب الأصلية، كانوا ضحايا لهذه الأعمال، وما زالوا ضحايا لآثارها'' (*A/CONF.189/12, para13*).

وفيما يبلغ العالم نقطة منتصف الطريق في عملية تحقيق الأهداف الإنمائية للألفية، المحددة لعام ٢٠١٥، بات من الواضح أن أفريقيا قد تكون القارة الوحيدة المتخلفة في مجال القضاء على الفقر المدقع. وجولة الدوحة الإنمائية لمنظمة التجارة العالمية، التي كان يمكن أن تؤدي إلى تسهيل وصول

التجارة الأفريقية إلى الأسواق، هي الآن رهينة بيد بعض الدول التي جمعت ثروتها من أرباح الرق ومكاسب الاستعمار الأفريقي. وتشير الإحصاءات إلى أن بقرة واحدة في أوروبا تتلقى مساعدة أكبر بكثير مما يتلقاه طفل أفريقي من المعونة الإنمائية. وتواصل دول متقدمة عديدة التنكر لالتزامات عالمية متفق عليها بالقضاء على الفقر، بما في ذلك بلوغ هدف الـ ٠,٧ في المائة من ناتجها القومي الإجمالي كمساعدة إنمائية.

وفيما نحتفل بنهاية تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي، ونحيي ذكرى أولئك الذين ماتوا في منتصف الطريق أو في المقاومة والثورة ضد الاستعباد، يبقى عزمنا ثابتا على تقدير حياة الإنسان، بغض النظر عن اللون أو الجنس أو الدين. إننا نقدر حياة الإنسان، سواء كان منحدرا من عبيد سابقين أو من مالكين سابقين للعبيد.

وربما ليس هناك من استوعب هذه الروحية أفضل من الشاعرة الأمريكية المشهورة عالميا فيليس ويتلي، التي عاشت من عام ١٧٥٣ إلى عام ١٧٨٤. والحقيقة أن الآنسة ويتلي، التي وُلدت في السنغال، في غرب أفريقيا، احتُجزت وبيعت للرق في سن السابعة، مثل الكثيرين من الأطفال الآخرين الذين كانوا جزءا من تجارة الرقيق، والذين يتعين على التاريخ الاعتراف بهم. وفي عام ١٧٦٠، بيعت الآنسة ويتلي لعائلة ويتلي في بوسطن، في ماساتشوستس، وحملت اسمها. وبما أنها أصبحت فردا من العائلة، فقد حظيت بتعليم مكثف في المنزل من مالكيها، شمل اللاتينية واليونانية والدراسات الإنجيلية. ونظمت قصيدتها الأولى في سن الثالثة عشرة.

وكان تخصصها هو تأليف قصائد للاحتفال بحياة ملاكها وأصدقائهم الأثرياء في مجتمع بوسطن الراقي في ذلك الوقت. وحصلت على أهمية كبيرة وشهرة في عام ١٧٧٠، حينما نظمت قصيدة تمدح بها الكلفيني الشهير جورج وايتفلد. وتشكك العديدون في أن تتمكن تلك الشابة، خاصة وهي عبدة أفريقية، من أن تنظم القصيدة بنفسها، ولذلك تم تنظيم فريق من مشاهير بوسطن، بقيادة جون هانكوك – الذي سيميزه إلى الأبد توقيعه بعد ستة أعوام على إعلان استقلال الولايات المتحدة – للتأكد مما إذا كانت فيليس قد كتبت فعلا ذلك الثناء. وأكد جون هانكوك وزملاؤه المشاهير صحة كون الفتاة العبدة من السنغال قد كتبت القصيدة.

وبعد وقت قصير، نظمت فيليس هويتلي قصائد تكفي لإصدار ديوان. ولكن لم يقبل أي ناشر أمريكي نشر مخطوطة كتبتها عبدة. وأخذ مالكو فيليس المخطوطة إلى لندن، حيث تم نشرها، بالترافق مع أعمالها الأخرى اللاحقة. ولم يكن الفريق أول جورج واشنطن، الذي أصبح لاحقا أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية، سوى أحد المعجبين بهذه العبدة الشابة من السنغال.

وانتهى عملها بوصفها كاتبة حينما توفي جون وسوزانا ويتلي وتم تحرير فيليس للتزوج من بقال أسود حر، كان يسمى جون بيترز. وقضت فيليس بقية حياتها عاملة كخادمة، وتوفيت فقيرة في كانون الأول/ديسمبر ١٧٨٤.

وتكريما لهذا اليوم، أود أن اختتم بياني بالقصيدة الوحيدة التي كتبتها الآنسة ويتلي عن أسرها في العبودية. والقصيدة معنونة ”ببساطة بشأن جلبي من أفريقيا إلى أمريكا“. ونصها

”إنها الرحمة التي جلبتني من بلدي الوثني،
وعلمت روحي الجاهلة أن تدرك
أن هناك إلها وأن هناك منقذا أيضا:
ولم أبحث عن الخلاص يوما ولم أعرفه.

’والبعض ينظر إلى عنصرنا الأسمر بعين السخرية‘ –

’لونهم شيطاني كالفحم‘.

فتذكروا، أيها المسيحيون، أن الزنوج السود مثل قابيل،

قد يتطهروا، ويلحقوا بالقطار الملائكي‘‘.

أخيرا، أود، بالنيابة عن المجموعة الأفريقية، أن أشكر أشقاءنا وشقيقاتنا من دول منطقة البحر الكاريبي على كفالة تنظيم هذا الاحتفال التذكاري حتى لا ننسى أبدا. واليوم نعلن، بعبارات فيليس ويتلي، أننا فعلا تطهرنا وأننا على متن قطار ملائكي في رحلة نحو بلوغ حياة أفضل للجميع.

الرئيس بالنيابة (تكلم بالانكليزية): أعطي الكلمة للممثل الدائم لميانمار، الذي سيتكلم بالنيابة عن الدول الآسيوية.

السيد سوي (ميانمار) (تكلم بالانكليزية): يشرفني أن أتكلم بالنيابة عن المجموعة الآسيوية في هذه المناسبة التاريخية. وتشارك المجموعة الآسيوية الآخرين الإشادة بأفريقيا والشعوب الأفريقية وأحفادهم في منطقة البحر الكاريبي والأمريكتين على انتصار كفاحهم ضد العبودية، بينما يحتفلون بهذا اليوم الخاص لإحياء الذكرى السنوية المائتين لإلغاء تجارة الرق عبر المحيط الأطلسي.

إن قصتهم قصة تفضح إحدى أبشع الفترات في التاريخ الإنساني. وهي أيضا قصة لقدرة الإنسان على المرونة والشجاعة والبقاء. وعلى مدى خمسة قرون تقريبا، تم تحويل الملايين من الأفارقة – الرجال والنساء والأطفال – إلى بضاعة بشرية ونقلهم عبر المحيط الأطلسي وإجبارهم على العمل في ظروف لاإنسانية من الرعب والحرمان والعنف. وتم أسرهم في الحروب والغارات وبيعهم من تاجر إلى آخر، وسجنهم في قلاع وشحنهم في سفن أخذتهم عبر المحيط الأطلسي. ومات الكثيرون في ذلك النقل المشؤوم على ظهر السفن. وعند وصول الناجين إلى العالم الجديد، وُضعوا في مخيمات حيث جرى تعذيبهم حتى الإذعان. وعملوا في المزارع والأماكن الأخرى في ظروف شاقة للعمل. وإذ أنهم لم يعرفوا أي شيء سوى العمل الشاق والمعاملة غير الإنسانية، فإن العديد منهم ماتوا بدون أن يشاهدوا مرة أخرى وطنهم أو أسرهم.

إن تجارة الرقيق لم تدمر الأشخاص الذين أكرهوا على الخدمة فحسب، بل دمرت أيضا الاقتصادات المحلية الضعيفة والمجتمعات في أفريقيا بسلبها قطاعا منتجا. ووصل الفصل المظلم للتاريخ اللاإنساني إلى نهايته في عام ١٨٠٧، حينما وافق البرلمان البريطاني على قانون إلغاء تجارة الرقيق. وأشار ذلك أيضا إلى بداية الكفاح الذي استمر ٢٠٠ سنة من أجل الاعتراف والتكفير والحق في الحرية من التمييز الذي خلفته على المجتمعات ٥٠٠ سنة من العبودية.

وبالرغم من إننا استغرقنا ٢٠٠ سنة لنحيي ذكرى ذلك اليوم التاريخي، فإن الأمم المتحدة والمجتمع العالمي أحرزا تقدما ملحوظا في الأعوام الأخيرة في التصدي للتأثير السلبي للعبودية. وفي عام ١٩٤٨، أكد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان مجددا، في المادة الأولى على أنه ’’يولد جميع الناس أحرارا متساوين في الكرامة والحقوق‘‘، بينما تنص المادة الرابعة على أنه ’’لا يجوز استرقاق أو استعباد أي شخص؛ ويحظر الاسترقاق وتجارة الرقيق بكافة أوضاعهما‘‘.

ويجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار أن لدينا الآن أشكالا جديدة من العبودية. وإعلان دربان لعام ٢٠٠١ – وهو نتيجة للمؤتمر العالمي لمكافحة العنصرية والتمييز العنصري وكره الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب، الذي عقد في جنوب أفريقيا – أعلن أن الاسترقاق وتجارة الرقيق

تعتبر جريمة ضد الإنسانية. وأعلن القرار ٢٨ الذي اتخذته منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة في دورتها ٣١، عام ٢٠٠٤ عاما دوليا لإحياء ذكرى النضال ضد الرق وإلغائه. وشكل قرار الجمعية العامة ١٩/٦١ بداية مرحلة أخرى بإحياء الذكرى السنوية المائتين لإلغاء تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي.

لا يمكننا أن نغير الماضي، ولكن بوسعنا أن نشكل المستقبل. وعلينا أن نكفل أن تتعلم الأجيال المقبلة الحقيقة وأن تتصرف وفق العبر المستخلصة وأن تتوخى اليقظة حتى لا يعاني أي إنسان من نفس المصير – لأننا، كما قلت سابقا، نشهد الآن أشكالا جديدة من الاسترقاق.

إن المجموعة الآسيوية، بانضمامها إلى هذا الاحتفال التذكاري، تشيد بسكان أفريقيا وأحفادهم على كفاحهم البطولي من أجل الحرية والشرف. ونحيي ونتذكر الذين قتلوا في النظام الوحشي والذين جادوا بأرواحهم في الكفاح من أجل الحرية. كما نشيد بأحفاد الشعوب الأفريقية الذين، من خلال اعتزازهم وحبهم لشعوبهم ومرونتهم وشجاعتهم، لم ينجوا من محنهم فحسب بل يقومون الآن ببناء مجتمعات غنية بتراثهم الثقافي الفريد.

كما نود أن نشيد بسكان الدول الأعضاء في المجموعة الكاريبية، الذين مكنوا من عقد مناسبة اليوم.

أخيرا، ليكن هذا اليوم الاحتفالي تذكرة لنا بأن علينا، بالعقل والضمير، ألا نسمح للتاريخ بأن يكرر نفسه بأي شكل أو مظهر.

الرئيس بالنيابة (تكلم بالانكليزية): أعطي الكلمة للممثل الدائم لجورجيا، الذي سيتكلم بالنيابة عن مجموعة دول أوروبا الشرقية.

السيد ألاسانيا (جورجيا) (تكلم بالانكليزية): بالنيابة عن مجموعة دول أوروبا الشرقية، يشرفني أن أخاطب هذه الجلسة الاستثنائية للجمعية العامة بشأن الذكرى السنوية المائتين لإلغاء تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي.

لقد شهد ربيع عام ١٨٠٧، أي قبل مائتي سنة، بداية حقبة جديدة ونظام دولي جديد. ونتيجة لحكمة وإنسانية ساسة بارزين في المملكة المتحدة والولايات المتحدة وتقديرهم للقيم العالمية، اعتُمِد تشريع حظر تجارة الرقيق – التي كانت بلا شك من أسوأ الانتهاكات لحقوق الإنسان. وهذه المناسبة فرصة لتكريم ذكرى من ماتوا بسبب الرق والممارسات المرتبطة به، والاعتراف بأن تركته – الاتجار بالبشر وغيره من الأشكال المعاصرة للرق والعنصرية وكراهية الأجانب والتعصب الأعمى – ما زالت تؤثر في حياة من ينحدرون من أصول عرقية مختلفة من جميع القارات.

وللأسف، مع أن تجارة الرقيق قد ألغيت، فما زال بعض أشكالها المعدلة موجوداً في عالمنا اليوم. وعلى الرغم من أن الاتجار بالبشر كسلع لم يعد مشروعاً، ما زال الملايين من البشر يُرغمون بسبب الفقر على العمل والعيش في ظروف أشبه بالرق. ورغم جهود المجتمع الدولي لمكافحة الرق، فإن الأشكال المعاصرة لتلك الآفة، من السخرة إلى الاتجار البشر، في ازدهار. والطلب الحالي على العبيد، وعدم فعالية ملاحقة المجرمين قضائياً وعدم كفاية الحماية لحقوق العمل تسهم كلها في نمو الرق في عالمنا اليوم. وفضلاً عن ذلك، فإن كل القارات تقريباً تتضرر بالصراعات المسلحة التي توجد مصادر أخرى للمعاناة، بما في ذلك الموت والدمار واستخدام الأطفال في الصراعات المسلحة.

وعندما يواجه المرء مشاكل في الحصول على الطعام والمسكن والتعليم الملائم، فإنه يصبح ضحية شكل جديد من أشكال الرق. ونظراً لفشلنا في تخفيف حدة الفقر، والقضاء على الطلب على عبيد اليوم، وحماية حقوق الإنسان للجميع والتصدي للإفلات من العقاب بشكل فعال، يعجز الضحايا

المحتملون عن حماية أنفسهم ضد الاستغلال وسوء المعاملة. وجهودنا غير كافية في معظم الأحيان. وبالرغم من كل ما تحقق، ما زال أمامنا الكثير الذي يجب أن ننجزه معاً.

وأود أن أختتم بياني بكلمات الدكتور مارتن لوثر كينغ، الإبن، الذي أكد أن الأمل في عالم آمن وقابل للعيش يكمن في مجموعة منضبطة وملتزمة بالتعاليم الدينية تكرس نفسها للعدالة والسلام والأخوة. وقال أيضاً إن حياتنا تبدأ في الانتهاء يوم نصمت إزاء أمور مهمة. وأعتقد أننا معاً يمكننا أن نضع حداً لليأس وأن نبني عالماً يتيح فرصاً متساوية للجميع.

السيد ميروري (هايتي) (تكلم بالفرنسية): بصفتي رئيس مجموعة دول أمريكا اللاتينية والكاريبي، يشرفني أن أنضم إلى رؤساء الوفود والمتكلمين الآخرين الذين جاءوا هنا إلى الأمم المتحدة – راعية حقوق الإنسان – لإحياء الذكرى السنوية المائتين لإلغاء تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي. ونحن بذلك، إنما نحيي ذكرى الملايين من أبناء أفريقيا وبناتها الذين سقطوا على الطريق.

إن تجارة الرقيق من أكثر الفصول مأساوية ووحشية في تاريخ البشرية. وأفريقيا، شأنها شأن أمريكا، سوف تتحمل آثار العبودية لفترة طويلة. ولئن كان ظلام تجارة الرقيق قد انتشر قروناً عديدة، إلا أن الفظائع التي لا توصف التي تخللت ذلك التاريخ قد فضحت من ارتكبوها، وجردت من تحملوها من إنسانيتهم. ولا بد لنا أن نشجب تلك الأعمال المهينة والعنصرية بكل قوة وأن نسترد للضحايا ومن تناسل منهم كرامتهم.

والقرار ١٩/٦١ المؤرخ ٢٨ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦، الذي أعلنت فيه الجمعية العامة يوم ٢٥ آذار/مارس ٢٠٠٧ يوماً دولياً للاحتفال بالذكرى السنوية المائتين لإلغاء تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي، وقررت الاحتفال بها اليوم، يعبر مرة أخرى عن جهود المنظمة للاعتراف بأن الرق وتجارة الرقيق جريمة ضد الإنسانية. والدول الأعضاء في الجماعة الكاريبية، التي ما فتئت تدعم هذا الحدث وتروج له، تستحق منا الثناء والامتنان.

ومجموعة دول أمريكا اللاتينية والكاريبي ترحب بكل جهود المجتمع الدولي ذات الصلة، ولاسيما النتائج التي خلص إليها مؤتمر ديربان لعام ٢٠٠١ وإعلان منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة عام ٢٠٠٤ السنة الدولية لإحياء ذكرى النضال ضد الرق وإلغائه. ولا شك أن تلك أدوات لا غنى عنها، تقوم على توافق الآراء، في الكفاح من أجل كفالة انتصار مُثُل الحرية والعدالة واحترام حقوق البشر غير القابلة للتصرف. والكفاح ضد الرق بكل أشكاله الجديدة طريق لا نهاية له أمامنا. إنه كفاح طويل الأجل لا بد من الاضطلاع به لتحقيق الهدف النهائي المتمثل في إقامة عالم أكثر أفضل وأكثر عدلاً وانتصافاً. ويجب أن يكون ذلك الكفاح عالمياً.

وفي القرن التاسع عشر، هب رواد الحرية، الذين كانوا نتاج تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي، دفاعاً عن الحقوق المقدسة للإنسان وحطموا نير العبودية المشين. وفي جميع أنحاء أمريكا، وخاصة في سانتو دومينغو عام ١٨٠٤ – التي أصبحت هايتي فيما بعد – وعقب أول ثورة ضد الاستعمار والعبودية، حفر أولئك الرجال، ومن بينهم توسان لوفرتر، وجان جاك ديسالين وألكسندر بيتيون وهنري كريستوف وآخرين، طريق المجد وأورثوا الإنسانية قيماً عالمية للحرية والمساواة والأخوة. وقد ترعرعت تلك القيم وانتشرت في الخارج كالشرارة. وحقق أولئك وعياً جديداً في العالم وألهموا أبطال التحرير مثل فرانسيسكو دي ميراندا وسيمون بوليفار وخوسيه مارتي.

وهناك شخصيات مستنيرة وإنسانية محبة للخير وأعمال البر في جميع أنحاء العالم تبنت أو دافعت من خلال أعمالها أو كتاباتها عن هذه القضية النبيلة المتمثلة في احترام حقوق الإنسان، ونخص بالذكر وليم ويلبرفورس، وكابلان فيكتور شويلشر وفيكتور هيغو وجون براون وفريدريك دوغلاس وآخرين. فهؤلاء يستحقون إعجابنا وامتناننا.

وفي بداية القرن الحادي والعشرين، واجبنا أن نتذكر حتى لا يكابد العالم هذا الشكل الشنيع للتجرد من الإنسانية مرة أخرى وبحيث لا يتخذ أشكالاً أخرى من العبودية الحديثة. ووفقاً للأمم المتحدة، ففي جميع القارات التي ما زالت السخرة موجودة فيها، تجاوز عدد ضحاياها ٢٠ مليون شخص. وإلى ذلك، لا بد أن نضيف الفقر المدقع الذي يعاني منه كثير من البشر. وهذا الفقر نتيجة مباشرة للمظالم الاجتماعية والتنمية التي أخرتها قرون الاسترقاق والاستعمار ونهب الثروات.

واليوم، ٢٦ آذار/مارس ٢٠٠٧، إضافة إلى احتفالنا بانتهاء الكفاح، ينبغي أن يكون ذلك وقتاً للنظر المشترك فيما وصلنا إليه، وما يتبقى علينا أن نحققه، والتحديات التي يتعين التغلب عليها والتصويبات التي يتعين إدخالها كيما يتحقق انتصارنا النهائي على الرق بمختلف أشكاله وعواقبه. وباسم مجموعة دول أمريكا اللاتينية والكاريبي، أود أن أتوجه بالنداء لنا جميعاً كيما تتضافر جهودنا بحزم حتى نستعيد للإنسانية كرامتها الكاملة.

الرئيس بالنيابة (تكلم بالانكليزية): أعطي الكلمة الآن لممثلة نيوزيلندا، التي ستتكلم باسم مجموعة دول أوروبا الغربية ودول أخرى.

السيدة بانكس (نيوزيلندا) (تكلمت بالانكليزية): يشرفني أن أتكلم اليوم بالنيابة عن مجموعة دول أوروبا الغربية ودول أخرى بمناسبة الاحتفال بالذكرى السنوية المائتين لإلغاء تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي. وأود أن أشكر الرئيسة على تنظيم هذه المناقشة الهامة، وأعرب عن بالغ امتنانا لمجموعة الممثلين الدائمين للجماعة الكاريبية لدى الأمم المتحدة على الدور الريادي الذي اضطلعوا به لجعل الجمعية تتخذ قرارا تذكاريا.

لقد مرت الآن أكثر من مائتي سنة على توقيع رئيس الولايات المتحدة توماس جيفرسن قانونا في ٧ آذار/مارس ١٨٠٧ لإلغاء تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي. وأقر البرلمان البريطاني في ٢٥ آذار/مارس ١٨٠٧ قانونا يمنع تجارة الرقيق في سائر أرجاء الإمبراطورية البريطانية. وقد كان هذان الإجراءان التاريخيان إيذاناً ببداية نهاية واحد من بين أطول الاعتداءات المتواصلة على كرامة الإنسان وقدره في التاريخ.

ونجتمع اليوم لنتذكر التكلفة البشرية الباهظة لتجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي، التي شهدت معاناة أكثر من ١٢ مليون إنسان – تم نقل معظمهم من غرب أفريقيا إلى الأمريكتين – من الممارسة الوحشية واللاإنسانية للرق. كما اضطروا إلى تحمل مشاق رحلة عبور المحيط الأطلسي السيئة الذكر، التي يخبرنا التاريخ بأنها أودت بحياة ما يقارب ١٨ في المائة ممن كانوا على متن السفن.

وباعتبارنا دولا أعضاء في الأمم المتحدة تعهدت رسميا بتأكيد إيماننا بحقوق الإنسان الأساسية وبكرامة الإنسان وقدره، يجب علينا ألا ننسى أبدا حقيقة الرق وعواقبه المأساوية. إننا نتذكر الماضي، وحتى أحلك فصوله، حتى نعترف بالمعاناة الإنسانية والتجربة الإنسانية التي ترتبط ارتباطا وثيقا بنسيج عالم اليوم. ونتذكر الماضي أيضا كي لا نكرره.

ومما يدعو للأسف أننا لم نتخلص بعد من كل ظلال الرق. فحتى اليوم، يتعرض الملايين من إخواننا من بني البشر لممارسات تندرج في نطاق تعريف الأمم المتحدة للاستعباد.

ومن بين الأمثلة العديدة للممارسات التي تعود إلى الأيام الحالكة من القرون الخالية، الاستعباد الجنسي، والاستعباد بالاستدانة، وإشراك الأطفال قسرا في الصراعات المسلحة. وباعتبارنا دولا أعضاء في هذه الهيئة، يجب علينا أن نعارض بحزم جميع الأشكال المعاصرة لاستعباد البشر.

ونقف اليوم وقفة تأمل لنفكر في أولئك الذين عانوا من الرق ونشيد بكل من ساعد على إنهائه. فلنستفد من عِبر الماضي الحكيمة لنستنير بها في سلوكنا مستقبلا.

الرئيس بالنيابة (تكلم بالانكليزية): أعطي الكلمة الآن للممثل الدائم للمملكة المتحدة.

السير إمير جونز باري (المملكة المتحدة) (تكلم بالانكليزية): اليوم مناسبة للتأمل في الأعمال الماضية. ونتذكر اليوم معاناة الملايين. فقد حُمل اثنا عشر مليون أفريقي على متن سفن الرقيق لنقلهم إلى العالم الجديد بقصد السخرة والاستغلال. وهلك ثلاثة ملايين في الطريق جراء ما انطوى عليه ذلك العبور من فظائع. وقطّعت أوصال قارة. وكانت تلك أعمال تنافت مع أبسط مقومات الإنسانية، وتظل وصمة عار في جبيننا جميعا.

ويتيح اليوم أيضا فرصة للإشادة بالكثيرين الذين كافحوا من أجل القضاء على تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي. وكان من بينهم برلمانيون، وعبيد مُعتقون، وكذلك الكثير من الرجال والنساء العاديين من جميع فئات المجتمع. وما قاموا به من أعمال شكل الأساس لإقامة مجتمعات تتسم بالانفتاح والتسامح وتتيح المشاركة فيها للكل. ونحن مدينون لهم بقدر كبير على الدور الريادي الذي اضطلعوا به في الجهود الحثيثة التي أثمرت حقوق الإنسان الأساسية.

وبالأمس، تكون قد مرت مائتا سنة على إقرار البرلمان البريطاني لقانون ١٨٠٧ لإلغاء تجارة الرقيق، الذي كان ثمرة حملة قام بها البرلماني البريطاني وليم ويلبرفورس لمدة ١٨ سنة. وبعد ذلك بـ ٢٥ سنة، سُن قانون القضاء على الرق، مما مكّن في آخر المطاف من إعتاق جميع العبيد في الإمبراطورية البريطانية آنذاك. وكما قال رئيس الوزراء توني بلير.

”إن الاحتفال بهذه الذكرى السنوية المائتين لا يتيح لنا فحسب فرصة لنقول إن تجارة الرق كانت عارا كبيرا – كيف ندين وجودها إدانة شديدة وكيف نشيد بأولئك الذين ناضلوا من أجل إلغائها – ولكن أيضا لنعرب عن بالغ أسفنا على حدوثها أصلا، بل حتى على إمكانية حدوثها، وننعم بما نعيشه من ظروف أفضل اليوم“.

وسينظم قداس ديني احتفاء بالذكرى السنوية المائتين لإلغاء تجارة الرقيق بحضور صاحبة الجلالة الملكة يوم غد في كنيسة ويستمنستر آبي. وسيحضره ممثلو العديد من أكثر البلدان تضررا من تجارة الرقيق. ويشكل ذلك القداس واحدا من بين مجموعة من الأحداث التي خططت المملكة المتحدة، بالتعاون مع بلدان أخرى، لتنظيمها طوال عام ٢٠٠٧ في سائر أنحاء العالم احتفاء بإلغاء تجارة الرقيق. ونرحب بما يتيحه الاحتفاء من فرصة لتشاطر تاريخنا والاستفادة من تجارب بعضنا البعض.

وتشكر المملكة المتحدة أعضاء الجماعة الكاريبية على الدور الريادي الذي اضطلعوا به في اتخاذ قرار الجمعية العامة في السنة الماضية الذي أقر احتفال اليوم. وقد تشرفنا بالمشاركة في تقديم القرار لأنه من واجبنا كفالة أن فظائع تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي لن تُنسى أبدا.

وبينما نجتمع هنا هذا الصباح، يجري رسميا في مجلس اللوردات بالمملكة المتحدة البدء بالعمل بالمبادرة العالمية للأمم المتحدة المعنية بمكافحة الاتجار ببني البشر والرق المعاصر –

لأن احتفال اليوم يجب أن يجعلنا نتذكر أيضا كيف أنه، بعد مضي ٢٠٠ سنة، ما زال يتعين فعل الكثير للقضاء على الأشكال المعاصرة للرق التي ما زالت موجودة اليوم في العديد من أنحاء العالم. إن القضاء على السخرة والتجنيد القسري للأطفال الجنود والاتجار ببني البشر يتطلب منا أن نبدي اليوم نفس الالتزام والعزم اللذين أبداهما دعاة إلغاء الرق قبل ٢٠٠ سنة. بل إنه يتطلب التزاما على الصعيد العالمي بإصرار المجتمع الدولي برمته.

في عام ١٩٣٧، قال وليم بريسكوت، أحد العبيد المعتقين:

”سيتذكرون أنهم باعونا ولكن لن يتذكروا أننا كنا أقوياء. وسيتذكرون أنهم اشترونا ولكن لن يتذكروا أننا كنا شجعانا“.

يجب علينا اليوم أن نثبت خطأ تلك الكلمات. وعلينا ألا ننسى أبدا قوتهم وشجاعتهم. وعلينا أن نتذكر ذلك الرق ونحتفي بذكراهم. وإذ نفعل ذلك، علينا أن نتعهد بألا يتعرض أي رجل أو امرأة أو طفل إلى وحشية الرق المعاصر.

الرئيس بالنيابة (تكلم بالانكليزية): أعطي الكلمة الآن لممثل الولايات المتحدة، الذي سيتكلم بوصفه ممثلا للبلد المضيف.

السيد ملر (الولايات المتحدة الأمريكية) (تكلم بالانكليزية): كثيرا ما يطلب منا جميعا هنا في الأمم المتحدة الاجتماع لمعالجة المآسي أنواع والظلم في سائر أنحاء العالم. وقلّما نجتمع للاحتفال بإنجاز والاعتراف به. ونحن هنا اليوم لكي نحتفي، ونحتفل، بنهاية أحد أحلك فصول تاريخ البشرية.

وطوال ما يزيد عن ثلاثة قرون، شوهت تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي قارة وشعبا. ونجتمع هنا اليوم لتكريم وإحياء ذكرى ضحاياها من ملايين الأرواح لأشخاص مجهولين تعذبوا وماتوا ونسيهم التاريخ ونحن لا يمكننا أن نسمح أبدا بنسيان مأساتهم.

إننا نلتقي أيضا لنحيي ونمتدح أولئك الشجعان الذين عرضوا للخطر حياتهم وثرواتهم بغية وضع حد لهذه التجارة البربرية – إنهم أفراد أرادوا أن يقدموا الأخلاق على الكسب الشخصي وأن ينيروا ضوءا ساطعا وشديدا على ذلك الانحطاط الأخلاقي، ألا وهو تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي.

وكفاح البشرية كفاح ضد الخطيئة والظلم. وغالبا ما نفشل في ذلك الكفاح. وحين ننجح، فمن الأساسي أن نحتفل بانتصاراتنا الشخصية والجماعية. وقد كان عام ١٨٠٧ مناسبة، توجت في الحقيقة عهدا، أدرك الرجال والنساء فيه الشر القائم في أوساطهم، وقالوا ”هذا يجب أن يتوقف“.

إن أصوات ضحايا تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي، وأصوات أولئك الذين وضعوا حدا لها، لا يزال صداها يتردد هنا اليوم، وأعمالهم تشكل سابقة يجب ألا نتجاهلها. وفي عام ٢٠٠٧، نواجه تحدياتنا الأخلاقية الخاصة بنا، وهي لا تختلف كثيرا عن تلك التي واجهها أسلافنا. وبعد انقضاء ٢٠٠ سنة على إلغاء تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي، يتواصل الاتجار ببني البشر والرق بأشكال عديدة وفي أجزاء كثيرة من العالم. وهناك الآن نحو ١٢,٣ مليون شخص مستعبدين في عمالة قسرية أو تسخيرية أو في عبودية جنسية. فشراء بني البشر وبيعهم لم يكن مقبولا آنئذ، وليس مقبولا الآن، ولا يجوز أن يكون مقبولا أبدا.

وحين يعاني الرجال والنساء من العنف والحرمان والظلم، فإننا نتقاسم المأساة والمسؤولية. ولن يكون ذلك أكثر وضوحا، في أي مكان، مما هو هنا، في هذا البيت، في

الأمم المتحدة، المتفانية من أجل رفاه جميع شعوب العالم. ولا يمكننا أن نطلق نفير النهضة الأخلاقية في القرن التاسع عشر، ونتجاهل الضحايا المأساويين في القرن الحادي والعشرين. فمع أنه يجدر بنا الاحتفال بهذه الذكرى السنوية لهذا الحدث التاريخي، بصفتنا شعوبا ودولا متحضرة، لا يزال أمامنا عمل نقوم به.

وحين تلقي الأجيال المقبلة نظرة على مطلع القرن الحادي والعشرين، آمل أن يكون ذلك باعتزاز. كما آمل أن يُنظر إلينا كما يُنظر على أولئك الذين نحيي ذكراهم اليوم، بصفتنا أناسا وقفنا إلى جانب الحق وفعلنا كل ما في وسعنا لمكافحة الشر والظلم.

الرئيس بالنيابة (تكلم بالانكليزية): قبل المضي قدما، أود أن أستشير الدول الأعضاء بشأن دعوة السيد ركس نتلفورد، الأستاذ ونائب المستشار الفخري في جامعة جزر الهند الغربية، جامايكا، لإلقاء بيان في هذه المناسبة.

إذا لم يكن هناك اعتراض، هل لي أن أعتبر أن الجمعية العامة ترغب، بدون أن يشكل ذلك سابقة، في توجيه الدعوة إلى السيد ركس نتلفورد، الأستاذ ونائب المستشار الفخري في جامعة جزر الهند الغربية، جامايكا، لإلقاء بيان في هذه الجلسة التذكارية الاستثنائية.

تقرر ذلك.

الرئيس بالنيابة (تكلم بالانكليزية): عملا بالقرار المتخذ للتو، أعطي الكلمة الآن للسيد ركس نتلفورد، الأستاذ والمستشار الفخري في جامعة جزر الهند الغربية، جامايكا.

السيد نتلفورد (تكلم بالانكليزية): إنني آت من ذلك الجزء من الأمريكتين – المعروف باسمه الآخر، منطقة البحر الكاريبي – الذي ربما يشكل المختبر الحي لدينامية التلاقي بين سكان من أفريقيا وأوروبا على أرض أجنبية، وتلاقي المجموعتين مع السكان الأصليين الأمريكيين الذين أقاموا في أراضي الأمريكتين منذ وقت بعيد أثناء فترات من القهر والتجريد من الإنسانية، إلى جانب العملية المقابلة من الكفاح والمقاومة. ولهذه الأغراض، فإن شمال شرق البرازيل، مع مركزه النموذجي في باهيا، ونيوأورليانز ومجمل المنطقة الساحلية الشرقية لأمريكا الشمالية، المشار إليها باسم أمريكا المزارع، إلى جانب جزر البحري الكاريبي، مناطق تشكل المجال الثقافي – الجغرافي الذي يؤوي حضارة مع تناسقها المنطقي والداخلي.

ووصول القادمين المتأخرين إلى منطقة البحر الكاريبي بعد إلغاء التجارة بالمستعبدين الأفريقيين أولا، وبعد إلغاء الرق نفسه لاحقا، لم ينقذهم من استغلالهم في العمل. لكن أولئك القادمين الجدد لم يدخلوا بصفتهم رجالا ونساء أحرارا في مجتمع يعد بالعيش الكريم والمدنية والوعي الإنساني، إذا لم نقل مجتمعا إنسانيا بأكمله. وقد تميز ذلك المجتمع بالدور الحافز الذي أداه الوجود الأفريقي – مع التركيز على الوجود وعلى الأفريقي – في بلورة المجتمع في إطار عالم نفسي، طمس جزء كبير منه في صمت ما تحت سطح الأرض أو أغرق تحت الماء – كاستعارة مختلطة.

والاستعارات المختلطة، في مجمل الحالات، أقنعة تخفي الملامح الحقيقية، والذبذبات المسموعة، لتخبئ أزرار ما فوق الصوت أو كواتمه، لنشر ذلك الصمت المخيف الذي وصفه شاعر جامايكا الغنائي الموهوب، نجم موسيقى ''الريجي'' الساطع، جيمي كليف، بقوله على نحو مميز:

''لقد سرقت تاريخي،

ودمّرت ثقافتي،

وقطعت لساني،

لذا، لا يمكنني التواصل،

وبعدئذ تصالح

وتعزل

وتخبئ طريقة حياتي كلها،

لكي أكره نفسي''.

ومن المناسب لأناس مثلنا في منطقة البحر الكاريبي من الجماعة الكاريبية أن نكون مهتمين بكسر جدار الصمت – وهو العامل الثاني – القاهر الذي عاناه الوجود الأفريقي في الأمريكتين طوال ٥٠٠ سنة، إلى جانب طريق الرق، الذي أدرجته اليونسكو بحكمة في جدول اهتماماتها – مع عزم على أن يأتي العمل بعد النية عبر جهود مثل هذه الجمعية الاستثنائية من الهيئة الأبوية. تلك هي الأعمال التي تحدد رحلة أولئك الذين اقتلعوا من أرض أسلافهم وعانوا في المنافي والمزارع، لكنهم صمدوا ولا يزالون يكافحون من أجل ما بعد الصمود.

والسعي إلى تزويد الإنسانية بحقيقة ما حدث على مدى نصف الألفية الماضية، ليس سوى جزء من الممارسة. إنه شكل من العمل الاجتماعي المنسق، وطريقة فعالة لمعالجة ما يُعتبر البلاء الأكبر في الحياة العصرية. وأشير بذلك إلى ما يمكن أن يكون تتويجا لنحو أربعة قرون من الفواحش المرتكبة في تحصيل الكسب المادي، الذي يغذيه الطمع والجنوح إلى السلطة، المقنعان غالبا بتنفيذ رسالة حضارية، يُزعم أنها جاءت بأمر سماوي أو مفروضة في وقت مبكر بمرسوم بابوي.

القتال من أجل المساحات الواسعة من الأرض، الذي أدى إلى حروب وإشاعات بنشوب حروب على مر الزمن، بدأ باحتلال الأراضي ''المكتشفة'' حديثا، والتي نعلم أنها كانت موجودة قبل الجوال القادم من جنوه وأتباعه الغزاة، المسلحين بوثائق بابوية تطالب بملكية الأمريكتين. وقد تواصلت باستبعاد الملايين المقتلعين من أرض أجدادهم والمشحونين حشودا عبر المحيط الأطلسي.

وأعقب ذلك عملية منهجية لتجريد القوى العاملة المستغلة ببشاعة في إنتاج السلع الأساسية لتحقيق أرباح تجارية من إنسانيتها، إلى جانب القمع النفسي للملايين في محطات لاحتقار الذات، تدعمها عنصرية مستمرة وتقسيم طبقي صارم، وتكللها انتهاكات اعتيادية لحقوق الإنسان. وما ذلك إلا قليل من الوصمات في تاريخ البشرية خلّفت لنا جميعاً تركة من الانشغال البالغ في سياق رحلة البشرية في القرن الحادي والعشرين.

ومع ذلك، هناك تركات أخرى – تركات تتصل بالعلم، وهي تعبر بنبرة من التحدي العنيد، من خلال تراث الاتصال غير المادي في أحيان كثيرة، عن منعة الروح البشرية رغم كل الصعاب؛ وعن قدرة العقل البشري على ممارسة ذكائه وخياله بشكل إبداعي من أجل تقدم المعرفة الإنسانية والحس الجمالي؛ بما يُرَقِّي الأفكار عن الحقوق الفردية والحرية الجماعية، وينهض بالمجتمع المدني والحكم الرشيد؛ واستكشاف عملية التعلم، بما يؤدي إلى مستويات أعلى من التسامح لدي البشر عند التعامل مع بعضهم البعض، وهو ما يتجلى في الاحترام المتبادل والكرامة الإنسانية والاهتمام بالآخرين والتراحم رغم إغراءات اعتماد الأنانية والنفاق بل وحتى جرعات قوية من وضاعة النفس، كما يتضح فيمن هم على شاكلتنا.

وإسهام التواجد الأفريقي في كل ذلك يخلو من أي صلف أو حقد. وهو يستحق التأكيد الجريء، مدعوماً بتحرٍ واف وتحليل دقيق وتوعية مبرمجة – وهذا كله جزء من مهمة مشروع مسار تجارة الرقيق الذي تضطلع به منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو).

وبالنسبة لنا جميعاً سكان الأمريكتين، فنحن نتاج تلك العملية الكبرى للتلاقي التاريخي بين ثقافات متنوعة على جانبي المحيط الأطلسي في ظروف هيأت للتسامح محل الكراهية والشك، والوحدة في إطار التنوع، والسلام بعد الصراع والعداء، رغم كل ما انطوت عليه من مظاهر سلبية. والكفاح المتواصل لمن يسعون إلى نيل الاعتراف والمركز إنسانياً، يقتضي من جميع من يملكون المعرفة والبصيرة الالتزام بمواصلة تنمية كل البشر. وحب الحياة أقوى بكثير من الحرب التي تجرد الإنسان من إنسانيته وتهين وتدمر. والتواجد الأفريقي على طريق الرق ما زال يتكلم عن من قضوا ومن يعيشون ومن لم يولدوا بعد – في تعبير احتفالي عن فلسفة الحياة والأمل في لحظات اليأس والتي ظلت باقية متحدية في ذلك تجارة الرقيق والرق عبر المحيط الأطلسي.

وما تعلمناه من دروس التاريخ قد زاد من عمق تبصرنا بأنفسنا في عملية التفاعل تلك، فهي فن البشرية العظيم للتحول بفعل ديناميكية التناقضات والجمع بينها. تلك هي قصة أفريقيا في الأمريكتين خلال نصف الألفية الأخيرة. ومن قديم الزمن وحتى يومنا هذا– لكي لا ننسى – كان ذلك مصدراً ومادة لأدب عظيم وفن عظيم وهياكل اجتماعية عظيمة، واختبارات عسيرة للفهم الإنساني، وإنجازاً فكرياً عظيماً في العلوم والإنسانيات. وكل ذلك تم على طريق الرق الذي نحن بصدد الكلام عنه، ورغم المقاومة الشرسة لقواعد التمثيل التي تقضي بتحقير كل ما هو أفريقي فضلاً عن العنصرية التي تمارس ضد كل من يحمل ''وصمة'' أفريقيا في عروقه.

وحتى لا ننسى، فإن ذلك التواجد – وأعني التواجد الأفريقي – قد علّم سلالة الإغريق والرومان القدماء، وأضاف إلى حضارتهم الغربية عبر تاريخها ذا الحمية الاحتكارية. وفي ملتقى الحضارة المتوسطية تلك، أهدت كنوز ذلك التزاوج للإنسانية ذلك النوع من الطاقة الإبداعية الذي كفل للبشرية القدرة على أن تحيا وأن تموت وأن تحيا ثانية. وفي الذاكرة التاريخية، نرى ذلك التواجد يقوم مرة أخرى بدوره الحفاز في شبه الجزيرة الأيبيرية، حيث أدى تلاقى الثقافات – بما في ذلك الثقافة الأفريقية – إلى انفتاح الفكر، وهو ما أفضى إلى ما يسمى باكتشاف الأمريكتين وإلى اندماجنا في المصدر الحيوي لطاقة ''التقاء الطرق'' التي يمثلها نصف الكرة ذاك بالنسبة للبشرية في العصر الحديث.

لقد هيأت الأمريكتان المستعبَدتان والمستعمرَتان ساحة جديدة للتجريب في مجال استغلال العنصر البشري، ولكن دفع تلك الأعداد الغفيرة من البشر إلى هوامش الصمت كان من شأنه أن يجعل الأمريكتين أشد فقراً. مع ذلك، وبفضل مقاومة من كان ينبغي إسكات أصواتهم، استرد نصف الكرة حيويته وطاقته. فلم يكن تحقيق الطرد المادي الكامل أو التطهير العرقي ممكناً – لأن أياً من طريقتي التصفية هاتين ما كان يمكن أن يخدم مالكي العبيد والأسياد الحضريين. ولذلك، ظل للتواجد الأفريقي أثره في المجالات التي يكتسي أهمية فيها، مثل اللغة والدين والفنون بل ووشائج القربى والنسب، وكذلك في علم الكائنات وعلم الكونيات، وكلها تضرب بجذورها في التنوع الإبداعي الذي أمسى واقعاً عالمياً الآن في الألفية الثالثة، بل كان في حقيقة الأمر هو الواقع المُعاش لمنطقة البحر الكاريبي والأمريكتين على النطاق الأوسع، والذي تمثل منطقة البحر الكاريبي جزءاً أصيلاً لا يتجزأ منه، بالطبع.

هذا أمر يدعو إلى التفهم والاعتراف من جانب بلدان أوروبا الحديثة، التي استُعمِرت بشكل عكسي، وامتدادها في أمريكا الشمالية البيضاء، حيث اعتُبِر التجانس ميزة بين هياكل القوة، وإن كان يتهدده تنافر الأصول الآن بعد انهيار الحدود الجغرافية، ومقدم موجات المهاجرين مختلفي الألوان. ولكن تركة الاسترقاق وما ينبثق عنها من

التجارة المزدهرة بالقوى العاملة الأفريقية ما زالت مستمرة، للأسف.

وإنني أتفق مع المفهوم القائل إنه قد تأتي لحظة لا يمكن عندها استخدام الماضي كذريعة، وفي بدايات القرن العشرين، من المؤكد أننا كنا قد وصلنا إلى تلك المرحلة. ولكن ما لا يمكن أن أوافق عليه هو إخفاء عناصر أساسية مثل وحشية الاتجار بالأفارقة المستعبدين في صمت ينكر على جحافل من البشر المشاركة الكاملة الممكنة في أي حوار يحاول تعريف وتحديد مصير أعداد غفيرة من البشر، كان مصيرهم النفي والإبعاد لفترة طويلة من الماضي تجرعوا خلالها مرارة الإذلال واليأس النفسي وفقدان الاعتبار الشخصي. حقاً، إن من يجرؤ على تجاهل تاريخه لا بد أن يكرره. ومشروع طريق الرق لليونسكو الذي يساعد على درء ذلك، قد صمم بوضوح لتحديد كل القوى الاجتماعية والثقافية العميقة التي تآمرت بنجاح للحيلولة دون وقوع ذلك التكرار، على النطاق الذي حدث في الماضي على الأقل، أو لحرمان التاريخ والشعوب مثلنا من الذكرى الطويلة لذلك الماضي. ولذلك، فإن المشاركة العميقة للجماعة الكاريبية في عمليات مشروع مسار تجارة الرقيق منذ إنشائه في عام ١٩٩٤، مستمرة إلى اليوم في شكلها المُعاد تنشيطه وهيكلته. وتلك الرؤية، اتفاقاً، هي ما أدى بنا هنا صباح هذا اليوم إلى الطعن في صحة ما يُنسب إلى الماضي من فُحْش.

وقد كان لدي منذ وقت طويل ما يحملني على معالجة هذه القذارة في أماكن أخرى في سياق مسؤوليات الشتات الأفريقي، الذي وإن ساعد بشكل أساسي في رسم معالم مستقبل الأمريكتين، فإنه ما زال محروما من الاعتراف بدوره الهام والتاريخي في نمو وتنمية نصف الكرة الغربي هذا ومناطق أخرى.

والشتات الأفريقي بحاجة ماسة إلى الاعتراف به وبمركزه في النظام الجديد المعروف باسم العولمة، التي نرى، نحن بلدان منطقة البحر الكاريبي – أي منطقة البحر الكاريبي في ما بعد الاستعمار – والتي كان يوجد فيها رقيق سابقون، أنها تهدد بأن تصبح مصدرا لعدم المساواة بدلا من فرصة للقيام بمسعى أخير صوب كفالة كرامة الإنسان وحريته على الصعيد العالمي بشكل عملي.

ويجب أن تظل هذه الكرامة والحرية بشكل عملي مدرجة في برنامج الشتات الأفريقي المعني بالشواغل والعمل الإيجابي في الألفية الجديدة. إن الانتقال من التفكير إلى وضع برامج عمل ستعود بالنفع على الملايين من أفراد الشتات الأفريقي يشكل في حد ذاته أمرا لا بد منه. وهذا ما يبرر الحاجة إلى إدراج الخطط المعنية بالحياة الاجتماعية وروح التعامل الإيجابي مع الذات في الاستراتيجيات الإنمائية الرئيسية للعالم المعولم حديثا. ويجب أن يكون هدف شتات أفريقيا تحديد الأمور الرئيسية وليس مجرد الطفو مع التيارات لتأخذنا أينما اتجهت.

وبالتالي، يتمثل أحد التحديات التي يواجهها الشتات الأفريقي في جعل العولمة الجديدة تتخلى عن العادات القذرة الموروثة القائمة على التقسيم العرقي للعالم إلى الشمال الغني الصناعي والجنوب الفقير غير الأبيض – أي إلى العالم المتقدم النمو والمتحضر مقابل ثلثي سكان العالم المتخلف، المسمى خطأ بالعالم الثالث. ونحن نتطلع إلى مناقشة المسألة المتمثلة في أن ذلك يمكن تحقيقه بإبراز الانجاز الذي تحقق من خلال ممارسة الشتات للتفكير الخلاق والتخيل المبدع. غير أنه يجب أن يسهم في استبدال نظام التفكير المبني على المنطق الديكارتي، الذي يقول بأن أي إبداء للمشاعر يمثل سقوطا من مرتبة التفكير إلى مرتبة الإحساس، بحقيقة الشتات المتمثلة في أن الإبداع الأصيل والصرامة الفكرية لا يقصيان أحدهما

على الآخر وأن تحقيق الانسجام بينهما قد يشكل فعلا الأمل في عالم الألفية الثالثة.

وإلغاء تجارة الرقيق لجميع الأسباب – بما فيها تلك التي أوجزها المفكر الكاريبي إريك وليمز في مؤلفه الهام ”الرأسمالية والرق“ – كفيل بأن يستعيد إنسانية أحفاد الملايين ممن استدرجوا أو جروا قسرا وبصورة لاإنسانية من غرب أفريقيا والكونغو لعبور المحيط الأطلسي. وكما يدرك الشتات الأفريقي منذ عهد بعيد، فإن العقل يمكن أن يكون عضوا ينطوي على العاطفة أيضا.

ويتعلق الأمر بمسألة رئيسية تقبل الجدل والمناقشة بشأن الدفاع عن تقديم التعويض، مما لا يعني بتاتا دفع ٥٠٠ جنيه استرليني عن كل شخص لأحفاد المضطهدين، بل استثمار أموال كبيرة من جانب البلدان التي اغتنت عن طريق الجريمة الشنعاء المتمثلة في تجارة الرقيق والرق، استثمارات في تنمية الموارد البشرية للبلدان التي عانت من ذلك – ويفضل أن يتم ذلك من خلال تعليم وتأهيل شبابها لتمكينهم من مواجهة الإرث المتمثل في استمرار الظلم في العالم. وفي المقام الأول، ينبغي أن يكون بمقدورهم فهم تاريخيهم والمساعدة في سد الفجوة المعرفية، التي أكد عليها بقدر كبير من البلاغة ممثل سانت فنسنت وجزر غرينادين في المناقشة التي جرت في الجمعية العامة في تشرين الثاني/نوفمبر الماضي. وكما يقول مثل أفريقي معروف، ”حكايات الصيد ستمجد دائما الصياد، إلى أن تجد الليوث من يؤرخ لها“.

وللتغلب على الكراهية والتعصب والتمييز والغطرسة العرقية والإقصاء الطبقي، والتعجرف الفكري، وتشويه السمعة الثقافية، التي تشكل إرث ذلك الماضي المرعب، يجب على الشتات الأفريقي أن يواصل استراتيجياته التي عفى عليها الزمن للقضاء على التهميش، وتعزيز كثافة العمل الإبداعي في توسيع نطاق فنون الاتصال التي تخدم البشرية. واللهجات الكاريبية المتمثلة في كوييول، وسرانان تونغا في سورينام، وجامايكا توك، كلها تعبر بشكل مشروع عن حقيقة الشتات الأفريقي وتسهم في إحلال صوت محل صمت الاضطهاد المفروض.

واختيار كل منا لخالقه – سواء تمثل في دجا بالنسبة للرستفاريين، أو الصيغ المتعلقة بعيد الفصح بالنسبة للمسيحيين، أو صيغ الأمريكان الأفارقة لمحمد والإسلام، أو كبار السحرة بالنسبة لعقيدة سانتيريا للسحر في كوبا، أو عقيدة كاندومبلي في البرازيل، أو عقيدة شانغو في ترينداد، أو عقيدة أغون السحر في هايتي – يجب أن يؤكد على المشروعية الممنوحة للمسيحية وغيرها من المعتقدات، وفقا لروح ذلك المذهب الذي اضطر كنيسة روما إلى تقديم الاعتذار لليهودية، وجعل المجمع الديني الثقافي الإغريقي – اليهودي – المسيحي يقر بحق الوجود للهندوسية والبوذية وعبادة القوى الطبيعية وأرواح الموتى، وهي من الديانات العظيمة في الشرق. ويمثل التنوع هنا، باعتباره مبدأ توجيهيا أساسيا للتنظيم البشري، الإطار المتوخى لإحلال السلام – أي السلام العالمي والإقليمي والمحلي.

وتمثل الهبة المتمثلة في استيعاب تعدد الوجود وتداخل نصوصه – وإن لم يكن حصرا على الشتات الأفريقي – الميزة الرئيسية لتلك التجربة. ويمكن للقرن الحادي والعشرين والألفية الثالثة، من خلال إمكانية الانتقال من أي جزء من كوكب الأرض إلى أي جزء آخر في لمح البصر بوسائط الاتصال الالكتروني، أن يستفيدا كثيرا من هذا الإدراك ورقّة الشعور، بغية تحقيق آمال الألفية في السلام والأمن وتحسين المكتسبات الاجتماعية. وهل يمكن للعالم دون كرب أن يتقبل نفسه كجزء من هذا وذاك والآخر، ولكن بصورة إنسانية تماما، ودون أن يحاول جزء منه الهيمنة على الجزء الآخر؟ وتشكل فكرة أن الشخص الكاريبي ينحدر من أصول مشتركة أفريقية وأوروبية وآسيوية وأمريكية أصلية،

لكنه كاريبي بشكل كامل، مصدر غموض للعديد من الناس في شمال المحيط الأطلسي، الذي أُفسد بسيطرته وهيمنته على إمبراطوريات وممتلكات في أراض بعيدة على مدى أكثر من ٥٠٠ سنة – بمباركة تجارة الرقيق، وما واكبها من رق واستعمار.

والاستيعاب الكامل للتنوع الخلاق لجميع بني البشر الذي يشكل مصدر التسامح وسخاء الروح والعفو واحترام الآخر، هو ما ستتطلبه الألفية الثالثة إذا أريد لها أن تحتضن العالم الجديد الرائع، الذي يشكل فيه الإنسان محور الوجود. كما يمثل ذلك منبع الصبر اللازم لتحقيق التنمية البشرية المتوخاة في جميع الأهداف السامية لإعلانات الأمم المتحدة. ويتجسد ذلك الصبر في عادة أفراد الشتات الأفريقي، الذين اضطروا إلى التفاوض للحصول على مجالهم والمشاركة في مباراة شروطها لم تكن قط متساوية لهم – لا بعد عام ١٤٩٢، عندما ضلّ كريستوبال كولون من إسبانيا طريقه إلى اليابان؛ ولا بعد عام ١٥٦٢، عندما تاجر جون هوكينز من إنجلترا بعبء من أشباه البهائم – أي عبيد أفارقة – في الهند الغربية الاسبانية؛ ولا بعد عام ١٨٠٧، عندما دفع مزيج من المصلحة الذاتية الرأسمالية والإحساس الإنساني البرلمان البريطاني إلى سن قانون شكل أول خطوة في مشوار استعادة كرامة الإنسان وعيشه اللائق.

ولهذا السبب، فالشتات الأفريقي مجهز للمشاركة في الحوار بين الحضارات، لكونه وضع اللبنة الأولى للحضارة ذاتها، كما لو أنه يستفيد من تحقيق العدالة الجزائية.

إن هذا الحوار، قبل كل شيء، يتركز كلياً على السعي إلى السلام والتسامح والعدالة والحرية والتنمية المستدامة والثقة، وإلى الاحترام والفهم الإنساني، ولا يجوز اعتباره تهديدا للسلام، بل هو ضمانة له.

ومع ذلك، فإنني حتى حين أُزكّي هذا لشتاتنا الأفريقي، وللعالم بصفته ضمانة لمستقبل آمن وذي جدوى، فإن تجربة العصور تعيدني إلى بعض العبارات الحكيمة التي ظهرت في ٢٨ شباط/ فبراير ١٩٦٨، والتي خلّدتها قطعة موسيقية ألّفها بوب مارلي، واستعار لها عنوان ''الحرب''، ولو أنها نادت بالسلام:

> ''إلى أن تصبح الفلسفة، التي تعتبر أحد الأعراق أسمى وسواه أدنى، فلسفة مفلسة ومهجورة بصورة نهائية ودائمة ...
>
> ''وإلى أن تنتفي أهمية لون بشرة المرء مثل أهمية لون عينيه ...
>
> ''وإلى أن تصبح حقوق الإنسان الأساسية مضمونة بالتساوي للجميع بغض النظر عن العرق ...
>
> ''وإلى أن يأتي ذلك اليوم ... ستبقى الأحلام بسلام دائم، ومواطَنة عالمية، وسيادة الأخلاقية الدولية، مجرد وهم خادع، يُلاحَق ولكنه لا يتحقق أبدا''.

هذا هو شأن الحدود العديدة التي أقامتها تجارة الرقيق والاستعباد. حقاً، هناك الكثير من الأنهار التي لا بدّ من عبورها، لكي تحملنا جميعا إلى الضفة الصحيحة من التاريخ، بعيدا عن فواحش تجارة الرقيق والاستعباد، وعن العواقب الوخيمة التي لا تزال تجتاح البشرية بقسوة، لتحرمنا جميعا من العيش الكريم، وتهدد إنسانيتنا الفطرية.

الرئيس بالنيابة (تكلم بالانكليزية): باسم رئيسة الجمعية العامة، أود أن أشكر جميع المشاركين في هذا اليوم التذكاري الهام. وأود أن أخص بالشكر رئيس وزراء سانت كيتس ونيفيس، السيد ديتزل دوغلاس، على مجيئه إلى نيويورك ليتكلم باسم المجموعة الكاريبية؛ ورؤساء المجموعات

الإقليمية على بياناتهم البليغة؛ والممثل الدائم للملكة المتحدة؛ والبلد المضيف؛ والمتكلم الذي أدلى بالبيان الرئيسي السيد ركس نتلفورد؛ وأشكر، طبعاً، الأداء الرائع للفرقة الأفريقية لقرع الطبول، ''سينغ سينغ ريثم''، من السنغال، التي ذكّرتنا بالإسهام العظيم الذي قدمته أفريقيا إلى العالم.

إن تجمّعنا اليوم دليل ثابت على التزامنا المشترك بوضع حد للعبودية في كل مكان بلا استثناء. إنها قضية يمكننا جميعا أن نقف إلى جانبها. وإحياء لذكرى كل أولئك الذين عانوا نير العبودية، يتعيّن علينا أن نرتقي إلى مستوى التحديات التي نواجهها اليوم، من أجل رفاه البشرية جمعاء.

إن قسوة الماضي التي لا توصف، تتواصل خلف أقنعتها الحديثة – مثل عمالة السخرة وعمالة الأطفال واستخدامهم القسري جنودا. ومن خلال هذا الاحتفال، آمل للمجتمع العالمي أن يتجاوز مظالم الماضي؛ وآمل أيضا أن يجعلنا ذلك أكثر حزماً في إصرارنا على إنهاء جميع مظاهر العبودية في هذه الأيام، وخاصة بلاء الاتجار ببني البشر.

وأودّ الآن أن أقدم ختام احتفاء اليوم، وهو جوقة مقيمة في نيويورك، جاء أعضاؤها من بلدان كاريبية مختلفة عديدة. و ''جوقة الاستقلال'' بقيادة لويد تشانغ، ترمز إلى وحدة هذه المدينة وإنسانيتها. وآمل للجمعية أن تستمتع بالعزف.

استمعت الجمعية إلى عزف موسيقي.

الرئيس بالنيابة (تكلم بالانكليزية): أود أن أشكر جوقة الاستقلال على عزفها المؤثر.

بهذا تكون الجمعية العامة قد اختتمت إحياء الذكرى السنوية المائتين لإنهاء تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي.

هل لي أن أعتبر أن الجمعية العامة تقرر أن تختتم نظرها في البند ١٥٥ من جدول الأعمال؟

تقرر ذلك.

برنامج العمل

الرئيس بالنيابة (تكلم بالانكليزية): أود أن أذكّر الأعضاء بأنه، كما جاء في اليومية، ستعقد الجمعية العامة بعد رفع هذه الجلسة التذكارية، جلستها العامة التسعين، للنظر في تقرير للّجنة الخامسة.

وأود أن أعلن أن حلقة مناقشة بشأن موضوع ''تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي: المأساة والميراث'' ستُعقد في قاعة مجلس الوصاية الساعة ١٥/٠٠.

رُفعت الجلسة الساعة ١٢/٢٥.